

أمنيات متأخرة

وقفات مع مجموعة آيات

نستلهم منها الدروس والعبر

إعداد الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٣٩هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذه الورقات هي : مشاركة ثانية مني في مجال التأمل ، والتدبّر في كتاب الله عزّ وجل ، وهي مساهمة يسيرة جدا في استنباط الفوائد، والدروس من بعض الآيات الكريمات . وكتابي الأوّل (وقفة تأمل مع موسى عليه السلام في مَدِين أكثر من ٢٠٠ فائدة) وهذا هو الكتاب الثاني في هذا الباب .

وخطة الكتاب : هذه المقدمة، ثم أذكر الآيات من كل سورة ، ويلي كل آية أو آيات الفوائد المستنبطة منها، ثمّ فهرس الموضوعات . وكل فائدة أكتبها أذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة وهي الأصل أو من غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلا ، أو أضيف ، ومالم أذكر مصدره فهو من استنباطي . وعزوت كل آية إلى مكانها من المصحف . وقد اجتهدت -قدر استطاعتي- في الاستنباط ، واستخراج الفوائد ، فإن أصبت فهو من الله سبحانه وتعالى ، وهذا ما أرجو ، وأسعى إليه ، وإن أخطأت فمن نفسي ، والشيطان ، وأستغفر الله من زللي وتقصيري .

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كاتبه ، وقارئه . وناشره وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

ebrahim.f.w@gmail.com

الموقع التجريبي

[/http://eb-alwadaan.site123.me](http://eb-alwadaan.site123.me)

أولا

قال تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ } . سورة المؤمنون: ٩٩ ، ١٠٠ .

من فوائد الآيات :

- ١- كان المجال مفتوحا أمام هذا الكافر ، وهذا العاصي للعمل الصالح . فلم لم يعمل ؟ والله سبحانه يعلم أنه لو أعاده للدنيا لرجع إلى كفره ، وإلى معاصيه ، وأعماله المخزية . كما قال سبحانه : { ولو رُدُّوا لعادوا لما نُحُوا عنه وإِنَّهم لكَاذِبون } .^(١)
- ٢- الله يردّ على هذا المتمني الكاذب بكلمة ردة وزجر (كَلَّا) .
- ٣- الرجوع للدنيا أمر لا يكون . قال تعالى: (وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون) .^(٢)
- ٤- العذاب في البرزخ هو حياة فاصلة بين حياة الدنيا وحياة الآخرة ، لا يعلم مدتها إلا الله سبحانه ، ثم بعدها البعث .
- ٥- هذا دعاء الكافر أو المُفَرِّط في حقّ الله . حينما تحضره ساعة الموت،^(٣) وقيامته الصغرى، ويُعاین ملائكة العذاب ، لأنّه حتما لا يقول ذلك إلاّ حين يُعاین شيئا مُخيفا أرعبه وأفزعه؛ فأجبره هذا على أن يدعو ، ويستغيث بالله ، ويتمنى ، ويرجو ، وإلاّ فهو ساه ، وغافل عن ربّه ، وعن طاعته .
- ٦- الموت حق على كل أحد .

(١) سورة الأنعام آية ٢٨ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٩٥ .

(٣) من ١-٥ استفاد من تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٥٩٣-٥٩٤ .

- ٧- التمني شيء وتحقيق ذلك شيء آخر . فالتمني بعد فوات الأوان ، وبعد انقضاء الأمر لا جدوى منه ، ولا فائدة فيه سوى التحسّر والندم .
- ٨- يكفي أن يقال لهذا الإنسان الكاذب (إنها كلمة هو قائلها) لكن جيء بالكلمة الفاصلة ، والقاصمة ، والشديدة الوقع على النفس (كلا) كلمة فيها من القوّة ، والشدّة ، والحزم ، والقطع .
- ٩- يبيّن سبحانه أنّ هذه الأمنية وهذه الرغبة كلمة جوفاء ، وكلمة فارغة لا معنى لها ولا حقيقة ، كلمة هو قائلها من هول ما رأى .
- ١٠- من ورائهم عذاب القبر ، قبل عذاب يوم القيامة .
- ١١- يحرص المسلم على العمل الصالح في الدنيا ، قبل أن يندم على ما فرّط من الأوقات في غير طاعة الله .

ثانيا

قال تعالى: (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) . سورة المنافقون : ١٠ ، ١١

من فوائد الآيات :

- ١- الحثّ والمصارعة إلى الإنفاق قبل الموت .
- ٢- فضل النفقة والصدقة ابتغاء وجه الله .
- ٣- الإنسان مادام حيّا يستطيع التصرّف في ماله ، وإذا مات انقطع الانتفاع بماله إلاّ إذا أوصى بشيء ، أو أوقفه ، ونقذ الورثة ذلك ، إذ قد يكون الورثة عصاة ، فلا ينفقون شيئا مما وصّاهم به الميّت .
- ٤- الرزّاق ، والرازق هو الله . والمال مال الله .
- ٥- الرزّاق اسم من أسماء الله .
- ٦- الله لم يأمر بإنفاق المال كله ، إنما أمر سبحانه بإنفاق جزء من المال .
- ٧- قد يكون الأمر هنا بالإنفاق الواجب ، وهو الزكاة إذ هي واجبة في المال إذا بلغ نصابا ، وحال عليه الحول ، بالشروط التي ذكرها العلماء في الزكاة .
- ٨- التحذير من الوصول إلى النهاية التي ليس بعدها رجعة ، وليس فيها تحقيق أمنية ، ولا عمل أي شيء .
- ٩- يريد الرجوع للدنيا لأمرين اثنين : لكي يتصدّق ، وليكون من الصالحين ، وهيئات أن يُحقّق له ذلك .
- ١٠- يأتي يوم يُحال بين الإنسان وبين أمنيته .
- ١١- الأجل هو : الوقت الذي تُقبض فيه روح الإنسان ، وينتقل من عالم الأحياء إلى عالم الأموات ، وعالم البرزخ : حياة غيبية لا نعلمها .

١٢ - ختم الله الآية بأنه سبحانه (خبير بما تعملون) فيه إشارة ضمنية إلى أمر الجزاء يوم القيامة ، ولأنّ التذكير بأنّ الله خبير بما يعمل الناس في مثل هذا المقام ، يُشعر بأنه -سبحانه- سيجازيهم على أعمالهم ، ولن يخفى عليه شيء من أمورهم^(٤)، فهو مُطَّلِع عليها كُلِّها .

١٣ - من أسماء الله الخبير ، وهو صيغة مبالغة مشتقة من الخبرة أي العلم بحقائق الأشياء . والخبير هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا تتحرك حركة إلا يعلم مستقرها ومستودعها، وهو العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته، والفرق بين العلم والخبر: أنّ الخبر هو العلم بكنه المعلومات على حقائقها، ففيه معنى زائد على العلم .^(٥)

١٤ - قوله:(فأصدّق) سميت النفقة صدقة ؛ لأنّها تدلّ على إخلاص صاحبها ، وصدّقه في نفقته .

١٥ - قوله:(ولن يؤخّر الله نفسا إذا جاء أجلها) تدلّ على استحالة ذلك ، وعدم وقوعه . ليس في حق الله ، إنّما في حقّ العبد .

(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٦٣٥ .

(٥) من فتوى رقم ١٧٣٠١٧ موقع إسلام ويب .

ثالثا

قال تعالى : (وأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبِ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولِمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) سورة إبراهيم : ٤٤ .

من فوائد الآية :

- ١- قوله: (وأَنْذِرِ النَّاسَ) الخطاب موجّه للنبي ﷺ . ، وهو أول مخاطب، ثم يصبح خطاباً لأُمَّته .^(٦)
- ٢- عندما يأتي العذاب للكافر ، والظالم لنفسه ، والذي فرّط في حياته ، يطلبون من الله أمانة ، أن يُعادوا للدنيا كي يعملوا .
- ٣- الظالم لنفسه يشمل الكافر ، والذي ارتكب الذنوب والمعاصي ، ولم يتب منها .^(٧)
- ٤- يريدون التأخير والمهلة شيئا يسيرا .
- ٥- أقسم المشركون أنه لا بعث بعد الموت . إنما هي الحياة الدنيا فقط . كما قال سبحانه حاكيا عنهم : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتٍ ﴾ الآية.
- ٦- لمّا تأكّد لهم رؤية العذاب بأعينهم ، في هذه اللحظة ، بدأت عندهم مسألة الرجاء ، وطلب التأخير اليسير .
- ٧- أمنيات فارغة ، جاءت في غير وقتها ، وبعد فوات الأوان .

(٦) تفسير الشعراوي ١٩/١١٨١٧ .

(٧) من ٢-٣ استفاد من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٤٢٧ .

- ٨- ليس هذا وقت إجابة الدعوة ، ولا وقت اتباع الرُّسُل ، إنما كان هذا في حال المهلة في الدنيا ، لا في حال الآخرة . إذ هناك حساب وجزاء ، وليس فيه عمل .
- ٩- أقسموا قسما على حدّ علمهم القاصر ، وعلمهم الذي لم ينفعهم ، وقد يكون هذا الإقسام جاء من تكبرهم ، وعنادهم ، وإصرارهم على المعاصي ، ومخالفة أنبيائهم .
- ١٠- الإنذار فيه تحذير وتخويف للناس .
- ١١- هذا الإنذار تحذير يشمل الثقلين الإنس والجنّ .
- ١٢- هذا العذاب يكون يوم القيامة .
- ١٣- قوله:(قريب) أي غير بعيد ، فهم لم يطلبوا أجلا بعيدا، وإنما طلبوا أجلا بسيطا ، وقليلًا ، ومهلة وجيزة . وهذا فيه دلالة على أهميّة الوقت ولو كان يسيرا ، فإنه وإن كان يسيرا فإنّ الإنسان يستطيع أن ينجز فيه إنجازا عظيما. فوقت النطق بالشهادتين لا يأخذ دقيقة واحدة فقط ، وهذه الدقيقة القريبة ، واليسيرة تغيّر حال الإنسان من الكفر إلى الإيمان ، ومن النار إلى الجنّة . ولكنهم لم يُقدّروا قيمة الزمان إلا في تلك اللحظة ، وعاشوا في عنادهم ، وغيّهم ، وسباتهم ، فحصدوا ماجنته أيديهم .

رابعاً

قال تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رُسُلُ ربنا بالحق فهل لنا من شُفَعَاءَ فيشفعوا لنا أو نُردُّ فنعمل غيرَ الذي كنا نعملُ قد خسروا أنفسهم وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون). سورة الأعراف: ٥٣

من فوائد الآية :

- ١- قوله: {قد خسروا أنفسهم} أي فلم ينتفعوا بها ، وكل من لم ينتفع بنفسه فقد خسرها . وقيل : خسروا النعم وحظَّ أنفسهم منها .
- ٢- أعذر الله سبحانه الناس بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب .
- ٣- في يوم القيامة يُعابن المشركون الذين كذبوا بالرسل العذاب ، ويعلمون أنَّ الرُّسُلَ قد جاؤوا بالحق من ربهم ، ويتحقق ما وعدوهم به ، ويعترفون بذلك ويُقرُّون به؛ لكن هذا الاعتراف ، والإقرار جاء في وقت لا يُقبل منهم . ويتمنون أن يجدوا شفعاء يشفعوا لهم عند الله ؛ كي يُردِّوا للعالم مرةً أخرى ؛ ليعملوا صالحاً غير الذي عملوه من سوء . ولكن هيهات أن يستجاب لهم ، وهيهات أن يعودوا، فهي آمنيات جوفاء فارغة ، كاذبة .
- ٤- قوله: (فهل لنا من شفعاء) استفهام فيه معنى التمني .^(٨) وتُحَسَّ مع تَمَنِّيهِم الألم ، والحسرة ، والتدامة .
- ٥- قوله: (يقول الذين نسوه من قبل) أي: يقول الذين ضيَّعوا وتركوا ما أمروا به من العمل في الدنيا ، والذي ينجيهم من هذا العذاب : {قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} أَقْسَمَ الْمَسَاكِينُ حِينَ عَايَنُوا الْبَلَاءَ ، وَحَلَّ بِهِنَّ الْعِقَابُ أَنَّ رُسُلَ اللَّهِ الَّتِي أَتَتْهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ وَبَلَّغَتْهُمُ عَنِ اللَّهِ الرَّسَالَ ، قَدْ كَانَتْ نَصَحَتْ

(٨) من ١-٣ استفاد من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٦/٧ موقع إسلام ويب .

لَهُمْ وَصَدَقْتَهُمْ عَنِ اللَّهِ ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ التَّصَدِيقُ ، وَلَا يُنَجِّهِمُ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، وَأَلِيمَ عِقَابِهِ كَثْرَةُ الْقَبِيلِ وَالْقَالَ .^(٩)

٦- قوله: {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} أي: وبطل عنهم ما كانوا يتخرصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أو ثأنهم أنها لله شركاء ، وأنها تقرهم منه زلفى .^(١٠)

٧- قوله: (هل ينظرون) النظر هنا بمعنى الانتظار ، والتوقع لا بمعنى الرؤية. فالمراد: ينتظرون ويتوقعون، وتأويل الشيء: مَرَجَعُهُ وَمَصِيرُهُ الذي يؤول إليه ذلك الشيء .

٨- قوله:(فهل لنا من شُفَعَاءَ فيشفعوا لنا أو نُرَدُّ فنعملَ غيرَ الذي كنا نعملُ) أي: أنه لا طريق لنا إلى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الشديد إلا أحد هذين الأمرين، وهو أن يَشْفَعَ لنا شفيع ؛ فلأجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب، أو يردنا الله إلى الدنيا حتى نعمل غير ما كنا نعمل.

٩- قوله:(فهل لنا من شُفَعَاءَ فيشفعوا لنا أو نُرَدُّ فنعملَ غيرَ الذي كنا نعملُ) هذا الجزء من الآية الكريمة ،تصوّر لنا حسرتهم يوم القيامة تصويراً يَهْزُ المشاعر، ويحملُ العقلاء على الإيمان والعمل الصالح.^(١١)

١٠- الشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصر له وسائلا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى .^(١٢) فهم يطلبون من يكون لهم عوناً، وناصراً في ذلك اليوم العصيب .

(٩) جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ١٩٦/٧ موقع إسلام ويب .

(١٠) المرجع السابق ٨٢/١٥ موقع إسلام ويب .

(١١) من ٨-٩ استفاد من التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ٢٨٢/٥ .

(١٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٦٣ مادة شفع .

١١- عبّر سبحانه بقوله: {نسوه} ولم يقل: ضيّعوه أو تركوه، لأن النسيان يشمل ذلك كله، فيشمل التضييع، والترك، والإهمال، وعدم الذكر، والغفلة، والإعراض.

١٢- الله سبحانه يصف لنا وصفا دقيقا حال هؤلاء، وكيف آل بهم المال إلى هذه الحالة البئيسة، فهو خسران مبین، ليس بعده خسران، خسروا أنفسهم، فخسروا كل شيء، ولم يبق لهم شيء، سوى العذاب، والخزي، والندامة، والحسرة.

١٣- عذاب الله واقع لا محالة.

١٤- الرُّسُلُ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام قاموا بما أمرهم الله به، من تبليغ الناس ودعوتهم، وتحذيرهم من الشرك خير قيام.

١٥- قوله: (فهل لنا من شُفَعَاءٍ فيشفعوا لنا ..) عرضوا السؤال بطريقة الاستجداء، والتوسّل، والتذلل، والخشوع، والاستسلام. فيحمل السؤال كل هذه المعاني، مع الحسرة والندم.

١٦- ينكشف للمجرمين يوم القيامة، الأهوال، والعذاب، وأمور لم يحسبوا لها، ولم يكونوا يتوقعونها.

خامسا

قال تعالى : (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون . وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّمَا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } . سورة السجدة ١٢ - ١٤

من فوائد الآيات :

- ١- المُقام بين يدي الله سبحانه يوم القيامة ، أمره مهيب ، ورهيب .
- ٢- في ذلك الموقف الرهيب أصبح لدى المعاندين والمكابرين يقين بما رأوه ، وشاهدوه بأم أعينهم . ففي هذه الحال البئيسة ، والمزرية سألوا الرجعة للدينا ليعملوا صالحا.
- ٣- قد كانت عندهم فرصة ؛ في زمن الإمهال ، وكان لديهم الاختيار في دار الاختبار ، لكنهم اختاروا الإجرام والإعراض ، والاستكبار و التكاسل عن أمر الله ، و العداء السافر لرسالاته و شرعه . (١٣)
- ٤- لم يوقنوا في الدنيا اختيارا ، فأيقنوا في الآخرة إجبارا واضطرارا . فأبصروا حين لا ينفعهم البصر ، وسمعوا حين لا ينفعهم السمع .
- ٥- في معظم الآيات يُقدّم السمع على البصر، إلا في آية قصة الكهف(قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) (١٤) ، وهذه الآية . والسبب لأن

(١٣) من ١-٣ مستفاد من موقع طريق الإسلام مقال بعنوان :مع القرآن من لقمان إلى الأحقاف- ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم لأبي الهيثم محمد درويش .

(١٤) سورة الكهف آية ٢٦ .

الساعة حين تأتي بأهوالها نرى الهول أولاً ثم نسمع مانراه .^(١٥) فالذي يدرك الشيء في تلك الأهوال أولاً هو البصر ، ثم يأتي السمع بعد ذلك ، ولأنّ ما في الآخرة من أمور وأهوال عظام ، تختلف عن الدنيا وما فيها .

٦- يقول سبحانه: (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فهذا الجبر الذي تعتقدونه

وهمّ من أوهامكم ، وهذه الأفعال السيئة إنما تقترفونها باختياركم ، وهي من كسبكم وسوف تحاسبون عليها ، فيما لو أراد الله أن يجبر لما أجبر إلا على الخير .^(١٦) وأجبر على الهدى ، ولكن الله سبحانه أعطى الإنسان القدرة على اختيار الطريق ، إما طريق الهداية ، وإما طريق الغواية ، وهؤلاء اختاروا طريق الغواية بمحض إرادتهم واختيارهم؛ فندموا ولات ساعة مندم .

٧- ذكر الله سبحانه (فذوقوا) مرتين . والذوق: وجود الطعم بالفم، وأصله فيما

يَقْلُ تناوله دون ما يَكْثُرُ، فإن ما يَكْثُرُ منه يقال له: الأكل، واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب؛ لأن ذلك - وإن كان في التعارف للقليل - فهو يَصْلُحُ للكثير، فخصّه بالذكر ليُعَمَّ الأمرين، وكثر استعماله في العذاب .^(١٧)

٨- ذكر الله النسيان هنا لهؤلاء المجرمين ، للإهمال ، وعدم الالتفات لهم ، وليس لهم قيمة ولا وزن عنده سبحانه ، جزاء وفاقا لما أعرضوا عن آيات الله ، واستكبروا على رسله .

٩- في يوم القيامة تتوقف الأحلام ، وتتبخر الأمنيات ، ولم يبق إلا المجازاة على الأعمال ، وقبلها رحمة الحي القيوم لعباده المؤمنين .

(١٥) من ٤-٥ مستفاد من خواطر قرآنية أئمن الشعبان . موقع صيد الفوائد .

(١٦) أحاديث رمضان ١٤١٧هـ تفسير آيات سورة السجدة الدرس (٤٠-٥٩) موقع الدكتور محمد راتب النابلسي .

(١٧) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٣٢ مادة دَوَّق .

- ١٠- في حال الإقرار بالذنب ، والتقصير في العمل ؛ غالبا ماينكس الإنسان رأسه. فيطلب حينها العفو والصفح .فهي صورة مُعبّرة لحال الذلّ والمهانة للمجرمين .
- ١١- العذاب لهؤلاء عذابان ، عذاب الإهمال والنسيان لهم ، وعذاب النار .بمعنى أنّ العذاب مضاعف لهم ، وليس عذابا واحدا .
- ١٢- الهداية نوعان : هداية توفيق وإلهام ، وهي من الله سبحانه ،والنوع الثاني: هداية دلالة وإرشاد ،وهي من البشر ،وأول الناس بهداية الدلالة والإرشاد، هم الرسل عليهم الصلاة والسلام.
- ١٣- حقّ القول من الله سبحانه أن يملأ النار من الجنّ والإنس ، ممن كفر ، وعاند وتكبّر على رُسله .
- ١٤- بسبب أعمالهم السيئة خُلدوا في النار .
- ١٥- أهميّة العمل الصالح ، وأنه من أسباب دخول الجنة .

سادسا

قال تعالى : (ولو ترى إذ وَقَفُوا على النار فقالوا يا ليتنا نُردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) سورة الأنعام : ٢٧ ، ٢٨

من فوائد الآيتين :

١- نَلْحُظ في قوله تعالى : (ولو ترى) أنه سبحانه عدّل عن العلم إلى الرؤية ، فلم يقل: (لو تعلم) ، وإنما اختار لفظ (ترى) للعين ، وهذا من بلاغة القرآن ، ودقته في انتقاء الألفاظ التي تُناسب السياق. والمعنى :فاعلم علماً يقينياً، وهذا العلم اليقيني يجب أن تثق في صدقه كأنك رأيته رؤية العين، وفوق ذلك أيضاً فإن عينك قد تخدعك ، أو تكذب عليك، ولكن حين يخبرك ربك-وهو أصدق القائلين- لا يخدعك ولا يكذب عليك أبداً.فالله سبحانه يُخْرِج هذا الأسلوب مَخْرَج اليقين .

٢- قوله:(ترى) يدلُّنا على أن العلم المأخوذ من الله تعالى عن أمر غيبي ؛ عليك أن تتلقاه بالقبول أكثر من تلقيك لرأي العين. (١٨)

٣- الأسى والندم على ترك الإيمان بالله والتصديق بالنبى ﷺ ، فهم في إشفاق مما نزل بهم من عقاب الله وأليم عذابه ، على معاصيهم التي كانوا يخفونها عن أعين الناس ،ويسترونها منهم ، فأبداها الله منهم يوم القيامة ،وأظهرها على رءوس الأشهاد ، ففضحهم بها ، ثم جازاهم عليها . (١٩)

(١٨) من ١-٢ استفاد من تفسير الشعراوي ٤/٢٣٦٢، ٦/٣٦٢١، ١٠/٦١١٤، ١٥/٩٥١٦، ١٩/١١٨١٧ .

(١٩) جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ١١/٣٢١ موقع إسلام ويب .

- ٤- قوله: (وُقِفُوا عَلَى النَّارِ) ليس باختيارهم هذا الوقوف ، بل أوقفتهم الملائكة بأمر ربها سبحانه . إنه منظر مُخيف ، ورهيب .
- ٥- قولهم بالردّ إلى الدنيا ، قول أجوف ، عارٍ عن الحقيقة . أمنيات جوفاء .
- ٦- تصوير لحال المجرمين ، وهم يُوقفون على النار ، وهم يعاينون النار التي حذّرتهم منها رُسُلهم . إنه مشهد عظيم ، تتلاشى فيه الرغبات ، وتتبخر فيه الأمنيات ، لأنها جاءت متأخرة في غير أوانها .
- ٧- قولهم : (يا ليتنا) تحسّ في ياء النداء استغاثة ونداء لا متناهي ، وكأنه يملأ أجواء المكان ، لكن بلا جدوى .
- ٨- على المسلم إذا أراد النجاة ، أن يجتنب ما نهى عنه الله ، وما نهى عنه رسوله ﷺ .
- ٩- خطورة العصيان لله سبحانه ، وخطورة الوقوع فيما نهى عنه .
- ١٠- قوله سبحانه: (ولو ترى إذ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ) الآن هذا وقوف فقط ، لا غير ، لم يذوقوا شيئاً من عذاب أهل النار . وعذاب أهل النار أشكال ، وألوان ، وأهوال .

سابعاً

قال تعالى : (ومن يُضِلِّ اللهُ فما له من وليٍّ من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردٍّ من سبيل . وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا حَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ) . سورة الشورى : ٤٤-٤٥ .

من فوائد الآيتين :

- ١- يُخبر الله سبحانه عن حال الظالمين حين يُعانون العذاب يوم القيامة ، يتمنون أيّ سبيل يُعيدهم إلى الدنيا .
- ٢- صورة المَشْهَد: حال الذلّ والخزي ، والمهانة لهؤلاء . يُسارقون النظر إلى النار ، ولا يفتحون جميع أعينهم بالنظر إليها . فلشدّة خوفهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل، وصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم، حتى كادت أعينهم أن تغور، فتذهب.
- ٣- أعظم الخسارة هي في يوم القيامة ، حينما يخسر الإنسان نفسه ، ويخسر أهله، ومن يُحب ، فيُحال بينه وبينهم ، ويكون في عذاب دائم أبديّ. (٢٠)
- ٤- قوله: (وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) معناه: ومن يخذله عن طريق الحق فما له من طريق إلى الوصول إليه، لأن الهداية والإضلال بيده دون كلّ أحد سواه. (٢١)

(٢٠) من ١-٣ مستفاد من جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ٢١/٥٥٣-٥٥٤ .

(٢١) المرجع السابق ٢١/٥٥٥ .

- ٥- قوله: (يُعرضون) تأتي بهم الملائكة ، وتسوقهم سوقاً رغماً عنهم ، وبغير اختيارهم . فقد كانوا في الدنيا مختارين ، ومتروكين يعملون ما يشاءون ، لكنهم اختاروا طريق الضلال ، فالآن ليس لهم إرادة ، ولا اختيار .
- ٦- عذاب الآخرة لا يُقارن بعذاب الدنيا .
- ٧- الخشوع أنواع ، فتارة يكون من خشية الله ، وهذا خير ورفعة للعبد ، وتارة يكون خشوع بسبب المعاصي ، والأفعال المشينة ، وهذا ذلٌّ وخزي ومهانة .
- ٨- الإكثار من ترى البصرية ، لمعاينة العذاب وشدّته ، ولأنّه أقوى للتأثير .
- ٩- لا يمكن تعويض خسارة الآخرة .
- ١٠- من أضلّه الله ، فليس له من ناصر ، أو مُعينٍ ، ولا صاحب يُنجيه من عذاب الله .

ثامنا

قال تعالى : (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل . ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يُشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير) . سورة غافر : ١١ ، ١٢ .

من فوائد الآيتين :

- ١- قال الكافرون: ربنا أمتنا مرتين: حين كنا في بطون أمهاتنا نُطْفَأُ قبل نفخ الروح، وحين انقضى أجلنا في الحياة الدنيا، وأحييتنا مرتين: في دار الدنيا، يوم وُلِدْنَا، ويوم بُعِثْنَا من قبورنا، فنحن الآن نُقَرُّ بأخطائنا السابقة، فهل لنا من طريق نخرج به من النار، وتعيدنا به إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك ؟
- ٢- هيهات أن ينفع أهل النار هذا الاعتراف. ^(٢٢) لأنه جاء متأخراً ، وجاء منهم في وقت لا يُقبل منهم .
- ٣- تُصوِّر الآية ذلهم وحسرتهم أكمل تصوير ، وأنهم يتمنون العودة إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم ، ولكن هذا التمني والتلهف جاء بعد فوات الأوان . ^(٢٣)
- ٤- أهمية العمل الصالح في الدنيا والآخرة .
- ٥- عَدَلَ سبحانه عن جوابهم بالحرمان من الخروج إلى ذكر سبب وقوعهم في العذاب ، وهذا فيه إشعار بتحقيهم ، وإيدان بإهانتهم . ^(٢٤)
- ٦- قوله تعالى : (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا) معنى الكفر في مدلوله الخاص يدل على معنى تكذيب ما يجب الإيمان بالله ومقتضياته. والشرك يدل على العبادة والتقرب لغير الله. والمشرك في الحقيقة

(٢٢) من ١-٢ استفاد من التفسير المُيسَّر لمجموعة من العلماء ص ٣٠٤ .

(٢٣) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ١٢/٢٦٧ .

(٢٤) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤/١٠٠ .

كافر لأنه أنكر شيئاً من حق الله وعبادته وصرفها لغيره. والكافر قد يكون مشركاً أيضاً، وقد لا يكون مشركاً كالملاحد الذي ينكر وجود الرب، ولا يعبد شيئاً. وبهذا يمكن أن نقول أن الكفر بمعناه العام جنس يشمل كل من خرج عن الإيمان الصحيح، والشرك نوع داخل فيه. (٢٥)

٧- الذين ماتوا على الكُفر حينما تنكشف لهم الحقائق، وحينما يبدو لهم حجم الخسارة التي مُنوا بها، وحينما يرون مصيرهم الأبدي، ويرون أن الدنيا مرّت كلمح البصر، وكأنّها ساعة. وهذه الساعة قد جعلوها معصية، وكفراً، وجريمةً، وانحرافاً، ساعةً مضت كلمح البصر، والأبد لا ينتهي، هؤلاء يصابون بالآم لا حدود لها. (٢٦)

٨- من أسماء الله (العليّ) هو: اسم من أسماء الله تعالى، وهو على وزن (فعليل) بمعنى فاعل، أي العالي، الذي ليس فوقه شيء. فهو سبحانه عالٍ فوق عرشه، ومستوٍ بذاته استواء يليق به سبحانه، بئس عن جميع خلقه، عليّ في ذاته، وعليّ في أسمائه، وعليّ في صفاته، وعليّ في أفعاله. (٢٧) والكبير: قال الطبري: الكبير: يعني العظيم الذي كل شيء دونه، ولا شيء أعظم منه. (٢٨)

٩- ورد في الآية الكريمة قبل الاسمين الكريمين (العلي الكبير) تقرير وتأكيد لأهمية توحيد الله عز وجل، وتوبيخ لأصحاب النار الذين يطلبون من ربهم أن يعيدهم إلى الدنيا؛ ليعملوا صالحاً غير الذي كانوا يعملون، لأنهم لم يقبلوا توحيد الله عز وجل في الدنيا، بل كانوا إذا دعوا إلى توحيدهم يكفرون، وإن يشرك به تعالى يؤمنون، فكان الحكم القاطع بعدم إجابتهم من الله العلي الذي ليس

(٢٥) سؤال في الفرق بين الكفر والشرك للشيخ خالد بن سعود البليهد . موقع صيد الفوائد .

(٢٦) التفسير المطول - سورة غافر ٤٠ - ٤١ - الدرس (٢٠-٠٤) موقع الدكتور محمد راتب النابلسي .

(٢٧) مفهوم الأسماء والصفات لسعد بن عبد الرحمن ندا . مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدد ٤٨ ص ٦٤ .

موقع مدرسة محمد . موسوعة العقيدة الإسلامية .

(٢٨) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ١٨/٦٧٦ .

أعلى منه أحد، الكبير الذي ليس أكبر منه أحد، ومن ثمّ فلا حكم بعد حكمه سبحانه. فقد جاء اقتران الاسمين العلي والكبير بما ينتاسب مع السياق وموضوع السورة . (٢٩)

- ١٠- الحياة والموت بيد الله سبحانه .
- ١١- أهمية التوحيد ، وعدم الإشراف به .
- ١٢- التوحيد هو الذي دعت إليه الرسل .
- ١٣- أخذوا يدعون الله بربوبيته ، وتلطفوا به سبحانه بضمير المتكلمين ظلنا منهم أن هذا يجدي نفعاً، ونسوا أنهم يكلمون الذي يعلم السرّ وأخفى .

(٢٩) مفهوم الأسماء والصفات لسعد بن عبد الرحمن ندا . مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدد ٤٨ ص ٦٤ .
موقع مدرسة محمد . موسوعة العقيدة الإسلامية .

تاسعا

قال تعالى : (وهم يَصْطَرِخُونَ فيها ربنا أخرجنا نعملن صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نُعَمِّرْكم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) . سورة فاطر : ٣٧ .

من فوائد الآية :

- ١ - قوله:(يصرخون) مبالغة في (يصرخون) لأنه افتعال من الصراخ وهو الصياح بشدة وجهد ، فالاصطراخ مبالغة فيه ، أي يصيحون من شدة ما نأبهم .ويحسبون أن رفع الأصوات أقرب إلى علم الله بندائهم، ولإظهار عدم إطاقه ما هم فيه .^(٣٠) والزيادة في بناء الكلمة ، دليل على الزيادة في معناها ، ولا تأت زيادة حرف إلا وله معنى .
- ٢ - قوله:(أولم نُعَمِّرْكم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النذير) الاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ .^(٣١) وجاء مُتناسبا مع السياق .لأنّ الله سبحانه امتنّ عليهم بنعمة العمر ، والإمهال في الدنيا ، وكذلك امتنّ عليهم بإرسال الرسل عليهم السلام ينذروهم ، ويرشدونهم ، ومع ذلك لم يستفيدوا من هذه النعم ، ولم يُقدّروها حقّ قدرها .
- ٣ - قوله :(فما للظالمين من نصير) فيه تأييسهم من وجود أي نصير لهم ،^(٣٢) وقطع جميع ما يُتعلّق به للخلاص من النار .
- ٤ - قوله:(وجاءكم النذير) وصف الرسول بالنذير لأن من أعظم مُهماته ، وأكبرها هي التّدارة .^(٣٣)

(٣٠) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٣١٨/٢٢ .

(٣١) المرجع السابق ٣١٩/٢٢ .

(٣٢) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٢٠/٢٢ .

(٣٣) المرجع السابق .

- ٥- استعمل سبحانه وتعالى لفظ(ذوقوا) لأنه أقوى في التأثير ، وأشدّ في الألم، فالذوق حاسة من حواس الإنسان يستعملها لاختبار عذوبة الماء والطعام وملوحته ، ونحو ذلك مما سيطعمه ، أو يشربه .وهنا سيدوق طعم العذاب جميع الجسد .
- ٦- أهميّة الدعاء ، وأنه ينفع إذا أراد الله . وهو هنا لم يفدهم شيئاً لأنه جاء في وقت متأخر ،وجاء وقد حلّ عليهم العذاب ، وجاء بعد أن حذرتهم رُسُل الله ، وأنذرتهم .
- ٧- قوله:(مايتذكّر فيه من تذكّر) أهمية التذكير والنصح ، ووعظ الناس ، وبيان الحق لهم . وهذا من مهمّات الرسل ، ومن بعدهم من العلماء ، وطلبة العلم ، والدعاة، ولا يتذكر إلا من أنار الله قلبه ، وأراد له الهداية .
- ٨- الآية تدلّ على أهميّة الحوار ، وأنه مفيد ومثمر لإقامة الحجّة والبيان على الطرف الآخر . فالله سبحانه يحاور أهل النار ، ويردّ على أسئلتهم .
- ٩- فائدة العلم الشرعي .
- ١٠- أهميّة التوحيد .
- ١١- أهميّة طاعة الرسل ، وأنها منجية من عذاب الله .
- ١٢- على الإنسان أن يستعمل عقله في التفكير والتدبّر .
- ١٣- أهميّة العمل الصالح .
- ١٤- قولهم:(أخرجنا)الخروج من النار أمر ليس بالسهل .ومن حُكِم عليه بالخلود في النار فلن يخرّج منها أبداً .
- ١٥- لم يبق لأهل النار إلا الصراخ ، والسؤال ، والدعاء ، لكنّه كلّ لا يُسمع.
- ١٦- الدنيا عمل ، والآخرة جزاء وحساب بلا عمل .
- ١٧- الدنيا مزرعة الآخرة .

عاشرا

قال تعالى: (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون . ألم تكن آياتي تُتلى عليكم فكنتم بما تكذبون . قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال اخسئوا فيها ولا تكلمون . إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون . إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) . سورة المؤمنون ١٠٣ -

١١١

من فوائد الآيات :

- ١ - قوله: (ومن خفت موازينه) أي : ثقلت سيئاته على حسناته . (٣٤)
- ٢ - قوله: (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) تمثيل لحال خيبتهم فيما كانوا يأملونه من شفاعة أصنامهم ، وأن لهم النجاة في الآخرة ، أو من أنهم غير صائرين إلى البعث ، فكذبوا بما جاء به الإسلام ، وحسبوا أنهم قد أعدوا لأنفسهم الخير ؛ فوجدوا ضده فكانت نفوسهم محسورة كأنها تلفت منهم . (٣٥)
- ٣ - المسألة تجارة رابحة ، وتجارة خاسرة ، كما يكون في البيع والشراء ، فمن ثقلت موازينه فقد ربح في تجارته وفاز ، ومن خفت موازينه فقد خسر في تجارته وخاب . ولا شك أن العمل في طاعة الله تجارة رابحة لا خسارة فيها . كما قال سبحانه: (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما

(٣٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٢/٥ .

(٣٥) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٢٧/١٨ .

رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) . (٣٦)

٤- قوله : (تلفح وجوههم النار) أي : تَسَفَعُ وجوههم النار . والكُلُوحُ : أن تنقلص الشفتان عن الأسنان ، حتى تبدو الأسنان . (٣٧)

٥- قوله:(وهم فيها كالحون) كَلَحَ تأتي بمعاني عدّة : عَبَسَ ، وأفرط في العبوس من الضيق والحزن . وبمعنى بَهَتَ فاندesh وتحير ، وتغيّر لونه - بسبب ما رأى وتعرّض له- من لفح النار لوجهه ، وبمعنى فَزَعَ ، وانقبض ، وشحَبَ . (٣٨) فهم كالحون بكل ماتعنيه الكلمة .

٦- ونجد أنّ تركيب كلمة(كَلَحَ) تشعر فيها بالتغيّر ، والانقباض . ومخارج حروف الكلمة فيها حَرَجٌ وشدّة ، واحتكاك . وعندما يَكَلَحُ الرجلُ يَقْلُصُ لَحْمَ الفمِ، وَيَنْقَبِضُ كاشفا عمّا يُبْطِنُهُ من أسنان ، كما يَجْدُثُ عند الكَشْرِ ، والتبسم . وقد قالوا: تَكَلَّحَ ، أي :تبسم إلا أنه غَلَبَ في الأوّل كما في الآية . (٣٩)

٧- العمل على الموازين التي تُوزن بها الأعمال يوم القيامة . قال سبحانه:(ونضع الموازين القسطَ ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقالَ حبة من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين) . (٤٠) وهذه الأعمال يجعلها الله أجساما تُوضع في الميزان بقدرته سبحانه . (٤١)

(٣٦) مستفاد من المرجع السابق . والآيتان ٢٩،٣٠ من سورة فاطر .

(٣٧) جامع البيان لابن جرير الطبري ٧٣/١٩ .

(٣٨) تهذيب اللغة للأزهري ٦٣/٤ . المقاييس في اللغة لابن فارس ١٣٤/٥ . وله متخيار الألفاظ ص ٩٢ . لسان العرب لابن منظور ٥٧٤/٢ . أساس البلاغة للزمخشري ١٤٤/٢ . المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وجماعة ٧٩٥/٢ مادة كلح .

(٣٩) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د.محمد حسن جبل ١٩٢١-١٩١٣/٤ .

(٤٠) سورة الأنبياء آية ٤٧ .

(٤١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٠/٣ .

٨- قوله : (اخسئوا فيها) أي: ذُلُّوا فيها ، وانزجروا كما يُزجر الكلاب إذا رُجرت، يقال: خسأ الكلب ، وخسأ بنفسه. (٤٢) فَخُوطَبُوا كَمَا تُخَاطَبُ الحَيَوَانَاتُ ، ومن أخسَّ الحَيوانات هي الكلاب ، فهذا قَدْرُهُمْ ، وهذا مقامهم . إذ لا كرامة لهم ، ولا مَنْزِلَةٌ .

٩- كأنهم قد خُيِّلَ إليهم- بعد السؤال التوبيخي (ألم تكن آياتي تُنلى عليكم فكنتم بها تكذبون) أنه قد أُذِنَ لهم في الكلام، وأن اعترافهم بذنوبهم قد ينفعهم فيقولون: (رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) أي: يا ربنا تغلبت علينا أنفسنا الأمانة بالسوء، فصرفتنا عن الحق، وتغلبت علينا ملذاتنا وشهواتنا، وسيئاتنا التي أفضت بنا إلى هذا المصير المؤلم، وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ عن الهدى والرشاد، بسبب شقائنا وتعاستنا. (٤٣)

١٠- قوله : (خالدون) الخلود البقاء إلى غير نهاية، ويستعمل بمعنى البقاء مدة طويلة (٤٤). مكوثٌ أبديٌّ ، وعذابٌ أبديٌّ ، وشقاءٌ أبدي .

١١- لا بد من وضع حد للشهوات التي تقود صاحبها حتما إلى الغفلة، ومعظم الخسران من بابي الشهوات والشبهات. والإنسان العاقل هو الذي يُلجِمُ نفسه عن الشهوات، ويأتي منها ما أحلّه الله تعالى وبالطريقة الحلال، ولا ينغمس فيها فينسى آخرته وواجباته .

١٢- الضلال مصيبة، لأنه حيرة وتردد وتيه وضياع، يؤهل صاحبه للشقاوة، وللسفه. وبالتالي إلى نار جهنم. وعلينا أن نلتصم الصراط المستقيم ونتبعه، وهو الذي يقود صاحبه حتما إلى خيري الدنيا والآخرة، فإن لم نحرص على

(٤٢) مفاتيح الغيب للرازي ١٠٩/٢٣ .

(٤٣) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ٦٦/١٠ .

(٤٤) المرجع السابق ٣٢٧/١ .

ذلك فهو الضلال المبين، وصدق الله: "أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى
أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" . (٤٥)

١٣- الله سبحانه حَكَمَ عَدْلَ فِعْقَابِهِ فِي الآخِرَةِ لِلْمَجْرِمِينَ الْمَكْذِبِينَ يَتَنَاسَبُ مَعَ
ذُنُوبِهِمُ الْمُتْرَكِبَةَ . فالذنوب التي ترتكب تتناسب مع العقاب بدقّة . فاحتراق
الوجوه الشديد بلهيب النَّارِ المحرقة، حتّى تكون الوجوه مُعْبَسَةً وَالثَّغُورُ
مَفْتَحَةً ، وَالشِّفَاهُ مُتَقَلِّصَةً . كلّ ذلك عقاب للذين خَفَّتْ مَوَازِينُهُمْ وَانْعَدَمَ
إِيمَانُهُمْ . لِأَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا يَعْبَسُونَ حِينَ سَمَاعِ الآيَاتِ الإِلَهِيَّةِ ، وَيَجْمَعُونَ مَعَ
ذَلِكَ السَّخْرِيَّةَ بِهَا . وَيَجْلِسُونَ يَتَحَدَّثُونَ بِاسْتِهْزَاءٍ وَتَهَكُّمٍ ، فَإِنَّ هَذَا الْعَذَابَ
يُنَاسِبُ أَعْمَالَهُمْ هَذِهِ ، فَالْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ . (٤٦)

١٤- لَوْنٌ آخَرٌ مِنَ الْعِقَابِ هُوَ الْعِقَابُ النَّفْسِيُّ حَيْثُ يُسَكِّتُهُمُ اللَّهُ عَنِ الْكَلَامِ
(وَلَا تُكَلِّمُونَ) فَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ لُطْفٌ ، أَوْ رِفْقٌ أَوْ إِينَاسٌ لَهُمْ أَوْ مَعَهُمْ ، وَلَا
يَقْبَلُ مِنْهُمْ أَيُّ كَلَامٍ . لِأَنَّهُمْ قَضَوْا وَقْتَهُمْ كُلَّهُ لِلسَّخْرِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ
حَتَّى نَسُوا وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا أَنَّ هُنَاكَ خَالِقًا لِلْكَوْنِ سَيَجَازِيهِمْ بِكُلِّ أَعْمَالِهِمْ . (٤٧)

١٥- قَوْلُهُمْ: (غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) مِنْ مَعَانِي الشَّقْوَةِ أَنَّهَا: الأَلْمُ الَّذِي يَمْلِكُ كُلَّ
مَلَكَاتِ النَّفْسِ فَلَا يَتْرَكَ مِنْهَا جَانِبًا ، يَقُولُونَ: فَلَانِ شَقِيٍّ يَعْنِي مُضَيِّقٍ عَلَيْهِ
وَمُتَعَبٍ فِي كُلِّ أُمُورِ حَيَاتِهِ ، لَا يَرَى رَاحَةً فِي شَيْءٍ مِنْهَا . فَهَمْ يَرِيدُونَ أَنْ
يُعِيدُوا الْمَسْأَلَةَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيُلْقُونَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، يَقُولُونَ: يَا رَبِّ لَقَدْ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا الشَّقْوَةَ مِنَ الأَزْلِ ، فَلَا ذَنْبَ لَنَا ؟ وَيَقُولُونَ: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا مَا

(٤٥) ١١-١٢ استفاد من مقال أ.د. محمد خازر المجالي بجريدة الغد الأردني(موقع الغد النسخة الالكترونية) عدد

الجمعة ١٤ تشرين الأول/أكتوبر . والآية ٢٢ من سورة الملك .

(٤٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المُنَزَّلَ للشيرازي ١٠/٥٢٣-٥٢٥ .

(٤٧) تفسير الشعراوي ٢/٣٢٧ ، ٣/١٣٩٨ .

فعلنا ذلك. ونقول لهم: لقد كتب الله عليكم أزلاً؛ لأنه سبحانه عَلِمَ أنكم ستختارون هذا. (٤٨)

١٦- قولهم: (شِقْوَتُنَا) أضافوا الشقوة لأنفسهم ، لأنهم سبب مباشر لهذا الشقاء الذي هم فيه . والشقاء ضد السعادة . وَتُحَسَّ فِي كَلِمَةِ (شِقْوَةَ) معاني العُسْر ، والشِدَّة ، والمحنة ، والكرب ، والضيق ، والشقاء ، والعناء ، والتعب . (٤٩) فتشمل كلمة (شِقْوَةَ) كل هذه المعاني مجتمعة لازمة لها غير مُنْفَكَّة عنها. لأنَّ الموقف والحال يحتملها .

١٧- إِذَا خَفَّت مَوَازِينُ الْعَبْدِ فَهُوَ إِذَانٌ بِالْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ ، ومرحلة مؤلمة يدخل فيها ، ويواجهها .

١٨- عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَجَاهِدَ نَفْسَهُ بِمَا يَسْتَطِيعُ حَتَّى يُثْقَلَ مَوَازِينُهُ .

١٩- وَحَيْثُ إِنَّ كَلِمَةَ (كَلَخَ) جَمَعَتْ مَعَانِي كَثِيرَةً ، فَإِنَّهَا كَلَّمَا تَتَنَاسَبُ مَعَ هَوْلِ الْمَوْقِفِ ، وَجَاءَتْ مَتَنَاسِقَةً مَعَ السِّيَاقِ ، وَمَتَنَاسِبَةً مَعَ الْحَدِثِ ، وَوَاصِفَةً الْحَالَةَ الْبَيْسَةَ ، وَالْجَوَّ السَّائِدَ الَّذِي يَمْرُونَ فِيهِ ، وَيَعِيشُونَهُ بِمَرَاتِهِ وَأَمَلِهِ ، وَأَحْزَانِهِ. مَشْهَدٌ حَيٌّ ، وَمَتَحَرِّكٌ ، مَائِلٌ أَمَامَنَا وَكَأَنَّكَ تَرَاهُ بَارِزًا ، تُعَبِّرُ عَنْهُ الْكَلِمَةُ بِأَدَقِّ تَعْبِيرٍ ، وَأَحْسَنِ وَصْفٍ ، وَأَجْمَلِ تَصْوِيرٍ .

٢٠- أَيُّ خَسَارَةٍ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَخْسَرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ ، وَهُوَ بِأَمْسِّ الْحَاجَةِ لَهَا . خَسَارَةٌ فَادِحَةٌ ، لَيْسَ بَعْدَهَا إِلَّا النَّدَمُ وَالتَّحَسُّرُ .

٢١- تَصْطَبِغُ الْآيَاتِ بِلُغَةِ الْحَوَارِ بَيْنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَبَيْنَ أَهْلِ النَّارِ .

٢٢- حَتَّى كَلِمَةُ (الْفَائِزُونَ) فِيهَا مَدٌّ يَتَنَاسَبُ مَعَ مَكُوثِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَبِقَائِهِمْ فِيهَا الْبَقَاءُ اللَّائِهَائِي . فَالْمُدَّةُ طَوِيلَةٌ وَمَمْدُودَةٌ لَيْسَ لَهَا أَمَدٌ .

(٤٨) المرجع السابق ١٦/١٠١٦٦ .

(٤٩) المقاييس في اللغة لابن فارس ٢٠٢/٣ . تاج العروس للزبيدي ٣٨٦/٣٨ مادة (شقو) . لسان العرب لابن منظور ٤٣٨/١٤ مادة (شقا) .

- ٢٣- يكفي أن يقول الله: (أنهم الفائزون) ويتمّ المعنى ، ولكن لأن الله خصّهم وعناهم بالفوز دون غيرهم ، وأكّد على هذا الفوز بالضمير (هم) .
- ٢٤- قوله: (من عبادي) أضافهم سبحانه إليه إضافة تشريف ، ورفعاً . (٥٠)
- ٢٥- قوله: (ولا تُكلمون) الإنسان في الغالب لا يستطيع أن يعبر عن حاله ، وعن ما في نفسه إلا عن طريق الكلام . فلما يمنع من الكلام ، أو لا يقدر أن يتكلم ، فإنه لا يستطيع أن يتواصل مع الآخرين ، ولو تواصل يجد صعوبة في ذلك . فلما مُنعوا من الكلام بهذا الشكل ، انتهى وانقطع التواصل معهم ، ولن يستطيعوا التعبير عن أوضاعهم . وفي هذا من الألم الشديد الذي لا يعلمه إلا الله ، يضاف إلى ذلك الذلّة والمهانة والاحتقار لهم .
- ٢٦- العبرة بمن يضحك ويسعد أخيرا ، وليس بمن يضحك أولا ، ويخسر ويندم أخيرا .
- ٢٧- عاقبة الصبر حميدة ، رضا الله ، وبعده الجنة .
- ٢٨- المغفرة والرحمة بيد الله سبحانه .
- ٢٩- قوله: (وأنت خير الراحمين) يدلّ على أن هناك رحمة في البشر ، وفي الحيوانات ، لكن الرحمة الكاملة ، والمطلقة هي رحمة الله سبحانه . وليس هناك أفضل ، ولا أحسن من رحمة الله . فهو سبحانه خير الراحمين .
- ٣٠- لا يجوز السخرية من عباد الله المؤمنين .
- ٣١- قوله: (إنّه كان فريق) الفريق هم : الطائفة ، أو المجموعة من الناس . (٥١)
- وهذا يدلّ على أن أهل الإيمان قلة من الناس . كما قال سبحانه: (وإن

(٥٠) تفسير الشعراوي ١٣/٨٣١٥ .

(٥١) موقع معجم المعاني تعريف ومعنى كلمة (فريق) .

تُطع أكثر من في الأرض يُضلّوك عن سبيل الله). (٥٢) وقوله: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين). (٥٣)

٣٢- قوله: (فاتخذتموهم سخريا) أي جعلتموهم غرضا ، وهدفا لسخريتكم . فهم يرمونهم بالسخرية بأقوالهم ، وأفعالهم . فهو تصوير لاستمرار السخرية وتكرارها ، وهي سُخرية دائمة للمؤمنين .

٣٣- أهميّة الذكر في حياة المسلم .

٣٤- تُخَفّ الموازين بِقَلّة الأعمال الصالحة، وكثرة الأعمال السيئة .

٣٥- المواعظ تُقرأ ، والآيات تُتلى ، والسعيد من فتح الله قلبه ، وأنار عقله ، فاستفاد منها ، واتّبع منهج الله سبحانه ، واقتفى أثر رسوله ﷺ .

٣٦- المغفرة والرحمة من صفات الرحمن جلّ جلاله ، فهو الغفور الذي يغفر الذنوب ، ويستتر العيوب ، ويعفو عن الزلّات ، والرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء سبحانه .

٣٧- من أسماء النار جهنّم .

(٥٢) سورة الأنعام آية ١١٦ .

(٥٣) سورة يوسف آية ١٠٣ .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢	مقدمة
٣	أولاً: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ
٥	ثانياً: وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت
٧	ثالثاً: وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا
٩	رابعاً: هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله
١٢	خامساً: ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم
١٥	سادساً: ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُردّ
١٧	سابعاً: ومن يضل الله فما له من وليّ من بعده
١٩	ثامناً: قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا
٢٢	تاسعاً: وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً
٢٤	عاشراً: ومن خفت موازينه فأولئك الذين خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ
٣١	فهرس الموضوعات